

٢٧

حتميات لاهوتية

جـزء ثان

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

العدد السابع والعشرون

مارس ٢٠١٩

حتميات لاهوتية

جـــزء ثان

إســـحق إســـكندر

الــــسلســلة: ملء الـــجبـــاب

الــــــكتاب: حتميـــات لاهوتية
جـــزء ثان

الــــــكاتب: إســحق إســكندر

كمبـــيـــــوتر: Pateer Center

تصميم الغلاف: Pateer Center

مطبــــــعة: أوتو بــــــرنت

إيــــداع رقم: ٥٥٥٠ / ٢٠١٩ بدار الكتب

ترقيــم دولـــى: 978-977-90-6183-2

فهرس

الحتمية الثانية ٥
استهلال ٦
مقدمة ٧
هل الله هو الخالق؟ ٨
من أقوال الفلاسفة حول الله الخالق ١٦
من أقوال البسطاء ١٧
من أقوال الكتاب المقدس حول الله الخالق ١٨
إشكالية لاهوتية ٢٤
من أقوال الفلاسفة حول هذه الإشكالية ٣٢
من أقوال الكتاب المقدس حول أعمال الله الأزلية ٣٣
أسئلة محيرة ٣٤
من أقوال الفلاسفة حول هذه الأسئلة ٣٧
من أقوال الكتاب المقدس حول هذه الأسئلة ٣٨
إلحاق ٤٠
الحتمية الثالثة ٤٢
مقدمة ٤٣
تمهيد ٤٤
البند الأول : التشارك فى الوجود ٤٥
البند الثانى : التشارك فى الخلق ٤٧
البند الثالث : التشارك فى الربوبية ٥٥
البند الرابع : التشارك فى وضع الناموس ٥٧
البند الخامس: التشارك فى الدينونة ٥٨
من أقوال الفلاسفة حول الاتزان والانسجام البيئى ٦٠
من أقوال الكتاب المقدس حول الاتزان والانسجام البيئى ٦١
من أقوال الفلاسفة حول أن يكون الله واحداً لا شريك له ٦٤
من أقوال الكتاب المقدس حول أن يكون الله واحداً لا شريك له ٦٥
ملاحق ٦٦

سلسلة ملء الجباب

صدر منها

١- ملء الجباب (طبعة ثانية)
٢- تكفيك نعمتي (نفذ)
لماذا أنا بالذات؟ (نفذ)
٣- كرسى المسيح (نفذ)
٤- حبيب الرب (طبعة ثانية)
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
ظل الموت
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠-ميمى بك
١١-مجاهد فى الجبانة
١٢-رئيس الخلاص
١٣-وأنت تبقى (طبعة ثانية)
١٤-لنا شفيع (طبعة ثانية)
١٥-محطة الأتوبيس
حجرة الفئران
١٦- رائد وسلطان
١٧- لا تهتموا بشئ (طبعة ثانية)
١٨-الاختيار الأزلى
١٩- حقوق المسيح ج ١
٢٠- حقوق المسيح ج ٢
٢١-حقوق المسيح ج ٣
٢٢- حتى الموت
٢٣-الورقة الأخيرة
٢٤-سر الله
٢٥-حتميات لاهوتية ج ١
٢٦-الشاويش بركات

✤ Upon Shiggaion
✤ The Shadow of Death
✤ The Brass Serpent

الحتمية الثانية

هل هناك ما يحتم أن يكون الله هو الخالق؟

استـــــــتهلال

ابتدأ بحثنا (فى العدد ٢٥) بعنوان "حتميـــات لاهوتيـــــة - ج ١" من نقطة الصفر.. وهذه النقطة هى ما بعد وجودنا.. وإلا، إن كانت قبله، فمن الذى يـــبحث، إن كنا غير موجودين.

هذا وقد ســـبقت الإشارة فى العدد المذكور إلى قول ديكارت: "الإستدلال الأول يـــعتمد على قضيـــة بديـــهية.... لذلك فإن وجود نفســـى هو قضية بديهية؛ لا تحتاج إلى إثبات".

ومن هذا المنطلق بدأ بحثنا فى العدد المذكور.. أما وقد وصلنا فيـــــه إلى **حقيقة وجود الله**.. لذلك سنبنى بحثنا فى هذا العدد، فوق هذا الأساس، وانطلاقاً من هذه الحقيقة؛ أن "**الله موجود**".

مـــــــقدمة

رأينا فى العدد المذكور – من هذه السـلسـلة – **الحتمية الأولى**.. وهى حتميـة وجود الله.. ورأيـنا أنه تعالى ليس فقط حتمى الوجود؛ بل "**واجب الوجود**" أيضاً.. وفى المقابل رأينا أن الإنسان "**ممكن الوجود**".

كما وجدنا أيـضاً أن الله "**مطلق الكمال**".. وأن الإنسـان – فى المقابل – **مدموغ بالنقص**.. من بعض الزوايـا.. كالشك.. والعجز عن الإلمام الكلى بحقيـقة الأشياء.. نظراً لإمكانياته المحدودة.. وإدراكه الناقص[1].

وفى هذا العدد سـنرى الحتمية الثانية؛ وهى حتمية أن يكون الله **خالـقاً**.. والحتمية الثالثة، وهى حتمية أن يكون الله **واحداً لا شريك له**.

(١) راجع ملحق رقم ١

هل الله هو الخالق؟

طالما أثبتنا أن الله موجود ، **حتماً** ، **ووجوباً** ، فعلى هذا الأساس سنبدأ بحثنا هذا عن كونه **الخالق**، من عدمه.

أولاً:

الإنسان ممكن الوجود

إن كان الإنسان ممكن الوجود[٢]، إذاً فهناك مسبب لوجوده.. يسبقه فى الوجود.

فإن افترضنا إن هناك مسبب رقم (أ) لوجوده.. فالسؤال إذاً: ومن أوجد هذا المسبب؟.. لاشك أنه المسبب رقم (ب).. ثم من أوجد المسبب رقم (ب)؟.. لن يكون إلا المسبب رقم (ج).. وهذا دواليك.. إلى أن نصل إلى المسبب الأصلى، الذى لايسبقه وجود، ولاعدم.. ولا مسبب لوجوده.. ألا وهو "**واجب الوجود**"؛ أى الله.. وبالتالى لن يكون غيره من أوجد هذه المسببات (إن وجدت).. أو بالحرى من أوجد الإنسان.

أما القول بأن هناك مراحل من التطور قد مر بها الإنسان، قبل أن يصبح على ما هو عليه الآن؛ إنساناً.. فلا مانع من القبول به، **جدلاً**.. ولكن هذا يدفع للتساؤل.. وماهى المرحلة الأصلية الأولى من سلسلة التطور، التى تطورت تباعاً.. من مرحلة إلى أخرى.. وصولاً إلى الإنسان؟.. برجوعنا إلى الوراء سنصل إلى مرحلة أصلية أولى، لا تسبقها مراحل.. والسؤال عندئذ: ومن الذى أوجدها؟.. إنه من لا يسبقه شىء؛ أى "**واجب الوجود**".. أى الله.

كذلك القائلون بأن الإنســـان أصله قرد.. وهو قول غير دقيق، لم يقل به تماماً أصحاب نظرية التطور.. لكن لنأخذه على محمل النقد.

فالقرود تطورت - كما يــقول البعض - من قرود.. إلى قرود عليا.. إلى تــحت الإنسانيات.. إلى أشباه البشر؛ كالأورانجوتان، والغوريلا، والشمبانزى.. إلى إنسان.

والــسؤال الآن إذا كان هذا هو التطور العضوى والبيولوجى، لدى القردة، فماذا عن الضميــر؟.. هل تطور هو أيضاً لديها؟.. فهل كان للقرد ضمير، بنســبة ١٠% مثلاً.. فإذا أصبح قرداً أعلى، صار له ضمير بنســبة ٢٠%.. ثم قرداً تحت إنــسان، بضميربنسبة ٤٠% مثلا.. ثم أورانجوتان بضمير بنسبة ٦٠%.. وغوريلا ذات ضــمير، بنسبة ٨٠%.. وشمبانزى بضمير بنسبة ٩٠%.. إلى أن صار إنساناً ذا ضمير بنسبة ١٠٠%؟

إن جميــع الــمراحل التى شملت القرود، هى أمامنا الآن.. ولا نرى لأى مرحلة منها أى ضمير بأى نســبة.. فلم نسمع أو نقرأ أن محكمة للقرود قد انعقدت، لمحاكمة قرد قاتل.. ثم تم الحكم عليه، بما تمليه ضمائر القرود، أو دستورهم.

فإن كان الأورانجوتان - أوغيــره، من الــقردة الأقرب إلـــى الإنســان بيولوجياً، أو جينياً - ليس له ضمير بأى نســبة.. وإن كان قد تطور عضوياً عبر ملايين السنين حتى صار إنساناً.. أفلم تكن ملايين السنين هذه كافية لتطور الضمير لديه؟.. أما إن وُجد الضمير فى الإنسان دون تطور، فالسؤال كيف حدث هذا؟.. لن يــكون ذلك إلا إذا كان قد حدثت **طفرة**، أوجدت الضمير.. طالما لم يكن هذا تطوراً طبيعياً للضمير.

والقدرة على الكلام مثلا - وهى بخلاف الضمير - لا توجد لدى القرود.. فلم نجد - فى يوم ما - قرداً يتكلم.. وذلك رغم امتلاكه لجين "فوكس بى٢".. وهو

نفس الجين الذى يمكِّن الإنسان من التكلم والحديث.. ولم نرصد أن قرداً قد تكلم فى جميع المراحل التى يقال أنها مراحل تطوره.. بل حدث أن تكلم الإنسان مرة واحدة **كطفرة**.. لا كتطور لإمكانية الكلام.

وغير ذلك من باقى الصفات - كالعقل والإدراك والإبداع والتسلط على الكائنات و.... إلخ - التى تميز بها الإنسان عن الحيوان.

فإن قالوا أن الإنسان تطور من قرد إلى إنسان.. ووافقونا على أنه قد حدثت للقرد طفرة حتى صار إنساناً، له كافة الصفات والمقومات الإنسانية، لا مانع لدينا.. فنحن نقول ماهو أبعد، بأن هذه الطفرة قد حدثت للتراب، فصار إنساناً.

اتفقنا إذاً على وجود **طفرة** تميز بها ظهور الإنسان.. من تراب، أو من قرد - جدلا - فإن كان كذلك، فالسؤال إذا: من الذى أوجد هذه الطفرة؟

نحن نقول أنها يد الله.. أو بالحرى **نفخة الله**.. التى نقرأ عنها: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ **تُرَابًا** مِنَ الأَرْضِ، **وَنَفَخَ** فِي أَنْفِهِ **نَسَمَةَ حَيَاةٍ**. فَصَارَ آدَمُ **نَفْسًا حَيَّةً**" (تك٢:٧).. نفساً حية.. كما نراها الآن.. وليس حيواناً؛ أو قرداً.

فإن كانت هذه الطفرة قد حدثت، فبيد الله، لأنها لا يمكن أن تكون قد حدثت بيد غيره.. لماذا؟

أولا: لأنه "**واجب الوجود**" وحده.. وهو المسبب لكل "**ممكنات الوجود**".

ثانياً: لأن **فاقد الشئ لا يعطيه**.. وفاقد الصفات الإنسانية لا يمكن أن يهبها لقرد.. أو لإنسان.. فالله إذ خلق الإنسان، خلقه على صورته كشبهه (تك٢:٧).. أى له كل الصفات الذاتية والإنسانية.. كقبس وانعكاس لما سبق أن كان - ومازال - لدى الله من هذه الصفات.. من ثم فلا الطبيعة، ولا التطور، قد منحا الإنسان هذه الصفات.

إنــى أقبل - جدلاً - أن يكون جدى الأكبر قرداً، لا تراباً فقط، **طالما كان هناك خالق، امتدت يده إليه بطفرة..** وحولته من قرد إلى إنسان ذى ذات، وصفات إنسانية.

وفى كتابه "حوار مع ملحد" يقول الدكتور "**مصطفى محمود**": [إن الـقرود الحالية مهما بقيت مليون سنة أو أكثر لن يأتى منها إنسان واحد].

وعن تميُّز الإنسان عن القردة، يكتب خادم الرب الفاضل/ "**برسوم ميخائيل**".. فى شرحه لهذه الآيات، فى كتابه " الله فى حقيقة وجوده" ["وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا، وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ" (أى٣٢:٨).. و"تَعَقَّلُوا وَبَعْدُ نَتَكَلَّمُ. لِمَاذَا حُسِبْنَا كَالْبَهِيمَةِ (العديمة العقل والضمير والنطق)، وَتَنَجَّسْنَا (أى أُهنَّا) فِي عُيُونِكُمْ؟" (أى ١٨: ٢، ٣).. و"يُعَلِّمُنَا (الله) أَكْثَرَ مِنْ وُحُوشِ الأَرْضِ، وَيَجْعَلُنَا أَحْكَمَ مِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ" (أى٣٥ :١١).. وهذه الآيات تميز الإنسان عن الحيوان بالعقل والنطق والدين (الضمير)].

[١- من أولويات العقل أن العلة (سبب الوجود) لاتكون أدنى من المعلول (الموجود). فلا يمكن أن يكون ما ليس له عقل علة (أى سبب) لوجود العاقل. ولا يمكن أن يكون الأصل الأول لهذه الروح العاقلة روحاً نظيرها ، لأن هذه تكون معلولة أيضاً. ومهما تقهقرها فى هذه السلسلة فلن نصل إلى علة أصلية لها. لذلك يلزم أن أرواحنا العاقلة مرجعها ليس إلى القردة بل إلى الله الذى هو "أبو الأرواح" (عب١٢ :٩)].

ثم يستكمل [وتميّزَ العقلُ بالإدراك والتصور والاكتشاف والاختراع.... وهلم جرا. وهذه أمور قد تفرّد بها الإنسان.. من يوم وُجد ، دون سائر الكائنات الحية. لقد تسلّط من يوم وُجد على الوحوش وروّضها ، وفاق الحيتان فى غوصها ، والنسور فى تحليقها ، والبروق فى سرعتها ، فى حين لم يقو قرد واحد من القرود ،

من يوم وجودها حتى الآن، على أبسط الأعمال الحسابية أو الهندسية].

[فإن كانت بعض الحيوانات تخزن طعامها، والعصافير تبنى أعشاشها، والنمل ينشىء قراه، والنحل خلاياه طبقاً لأدق القواعد الهندسية[٣]، لكن هذا يتم بحكم الغريزة، لا العقل أو الفكر. والدليل على ذلك أنه لاتستطيع طائفة منها أن تقوم بعمل طائفة أخرى. كما أنه لا تحسين أو تطوير حدث لهذه الأعمال. فآخر خلية بناها النحل ليست بأحسن من الخلية الأولى التى بناها منذ آلاف السنين (دون تطويرأوتحسين)].

[٢- من أين للإنسان ميزة النطق هذه والقرود خلوا منها.... ولم يحدث أن قرداً فى القرون الخالية أوالحالية تطور صوته فصار لغة، وإنما حافظت القردة على أصواتها وكل خاصياتها منذ نشأتها حتى الآن. فى حين امتاز البشر - حتى أدنى صنف فيهم - بموهبة التكلم. وهذا منذ نشأتهم. وذلك ما لم يقدر عليه أرقى البهائم. فمن أين للإنسان موهبة النطق وهو لم يرثها من القرد أو غيره من الحيوانات؟ طبعاً من الله الحى الناطق الذى خلق الإنسان على صورته حيا ناطقاً].

[٣- من الثابت أن للإنسان عقلاً مميّزاً يقدّر الحق، وأدبيّة تطلب الفضيلة.... هذه مأخوذة من كائن هى مجبولة على شبهه، ومتصلة به اتصالاً لم تأخذه من أحد، ولم تقلده بالمشاهدة، بل هو ذاتى، كذاتية انجذاب الحديد للمغناطيس. وهذا الإتصال بين النفس وخالقها، يسمى بالدين] (وهو ما سبق أن أسميناه الضمير).

فالعقل و النطق و الضمير لم يمتلكها الإنسان نتيجة تطور من كائنات أخرى.. بل مباشرة - كطفرة - من الله وقت أن نفخ فى التراب، فصار نفساً حية.

وهناك حكمة كتبها الشاعر "أبو الفتح البُستى":

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

أما القول بأن الطبيعة هى التى منحت الإنسان كيانه العضوى البيولوجى عبر ملايين السنين ولو"حبَّة حبَّة".. فهل هى التى أعطته ضميراً، وهى طبيعة مادية بلا ضمير؟

أما إن كانت الطبيعة هى التى أعطت الإنسان - بالفعل - ضميراً، أو إرادة حرة، أو إبداعا، إلخ.. وصولاً إلى الكينونة الذاتية التى للإنسان، فهى إذاً تمتلك هذه الصفات والمقومات.. وأهمها "الذات".

فإن كانت الطبيعة "ذاتاً".. ولها الصفات المذكورة.. وقادرة على منحها لغيرها.. **فلن تكون هذه الطبيعة شيئاً غير الله**.. بصفته الخالق.. ولكن باسم آخر.

إذاً الله موجود.. وبالأسماء التى اختارها لنفسه.. ومنها أنه "**الخالق**" (رو ١:٢٥).

ثانياً:

الإنسان ناقص

إن كان الإنسان ناقصاً - كما سبق ورأينا - فهو بالتالى ليس كلى القدرة، بل محدودها.. فإن كان إيجاده من "غير الموجود"، يحتاج إلى قدرة فائقة لا يمتلكها، لذلك فهو عاجز بالضرورة عن إيجاد ذاته.. أى لايمكن أن يكون قد أوجد نفسه.

أما الإدعاء بأن الإنسان قد أوجد نفسه، فهذا يدفع للتساؤل: متى.. وكيف.. وأين، حدث هذا؟

وإن افترضنا - جدلاً - أن الإنسان قد أوجد نفسه، ومنحها حياة.. فهل

يســـتطيع بهذه القدرة أن يدفع عنه الموت؟.. وإن مات، فهل يستطيع أن يمنح نفسه الحياة، مرة أخرى، ما دام قد استطاع أن يوجدها للمرة الأولى؟

كذلك الإدعاء بأن هناك كائن ما قد أوجده.. فهذا يدفع للتساؤل: ومن هو؟.
كذلك الإدعاء بأنها الطبيعة أو التطور.. فهذا ما سبق أن ناقشناه.
ولما كان إيجاد الإنسان يحتاج إلى قدرة فائقة لا يمتلكها إلا "**مطلق القدرة**".
ولما كان "**مطلق القدرة**" يستوجب بالضرورة أن يكون "**مطلق الكمال**".
ولـــما كان – كما أثبتنا، أن – "**مطلق الكمال**" هو الله.. لذلك فهو "**مطلق القدرة**".. وبالتالى **فلن يكون غيره** من أوجد الإنسان.

وإن كـنا قد استخدمنا لفظ "وُجد".. و"أوجد".. فما هذا إلا لعدم إقحام اللفظ الدقيق، قبل سرد الموضوع بتسلسل منطقى.. ماهو إذاً اللفظ الدقيق؟.. هوما اختاره الله؛ "مطلق الكمال".. وبالتالى"مطلق الإرادة والحريـــة".. والذى له وحده الحق فى إطلاق الاســـماء.. وهو قد اختار؛ فى كتابه[٤] الفعل "خلق" (تك١:١).. ومنه الإسم "الخالق" (رو١:٢٥ & أف٣:٩.. وشواهد أخرى).. كأحد أسمائه.

إذاً

وجوب الوجود، لدى الله.. هو مقابل **إمكانية الوجود**، لدى الإنسان.
وطلاقة القدرة، لدى الله.. هى مقابل **نقص القدرة** لدى الإنسان.

هذان يدفعان إلى القول، بأن الله بصفتيه:
أولا: بصفته، "**واجب الوجود**"، أوجد الإنسان بصفته "**ممكن الوجود**".
ثانياً: بصفته، "**مطلق القدرة**"، أوجد الإنسان بصفته "**ناقص القدرة**".
الله بهاتين الصفتين **أوجد** الإنسان

****

وما يــقال عن الإنســـان يــقال عن كل مفردات الخليــقة العاقلة.. وغير العاقلة.. فهى تتصف بهاتيـــن الصفتين.. فهى "**ممكنة الوجود**".. و"**ناقصة القدرة**" وبالتالى، وبهاتين الصفتين - شأنها شأن الإنســـان - لا يمكن أن تكون قد أوجدت نفسها.. بل **أوجدها**، "واجب الوجود"، و"مطلق القدرة".. بصفتيه هاتيك؛ أى الله.

من أقوال الفلاسفة حول الله الخالق

- إن الكون لا يـــمكن أن يـــكون قد وُجد بغير **علة عاقلة**، وإدراك هذه العلة يعلو فوق العقل البشرى.

"والاس"

- **الله** هو العلة **الأولى** لكل الأشياء والظواهر.

"أرسطو"

- **الله هو العلة الفاعلة الأولى.**

"القديس توما الأكوينى"

- تفرعت الأنواع من جرثومة الحياة التى أنشأها **الخالق**.

"داروين"

- ضميرى ينبئنى بوجود **إله** لهذا الكون.

"كانط"

- لــيس من المعقول أن يكون العالم قد وُجد مصادفة، لأن كل شئ فى الوجود لابد له من مُوجد، والموُجد هو الذى يدعوه الوحى "**الله**".

"عوض سمعان"

- القائلون بأن العالم قد وُجد مصادفة، افترضوا وجود عامل مســــاعد على حدوث الــمصادفة.. وبذلــك اعترفوا - دون أن يــدروا - بأن هناك **عاملاً** نظم العالم ونسقه.. وهذا العامل الذى يتجاهلونه هو **الله**.

"عوض سمعان"

- المشاهدات الرياضية فى الكون، تنبئ أن العالم لم يوجد مصادفة..

"جيمز جينز"

● أنا موجود فمن أوجدنى، ومن خلــقنى؟.. إننى لـــم أخلق نفســـى، فلابد لى من **خـالق**.. وهذا الخالق لابد أن يكون "**واجب الوجود**"، وغير مفتقر إلى من يوجده، أو يـــحفظ له وجوده، ولابد أن يكون متصفا بكل صفات الجمال.. وهذا الخالق هو **الله**، بارىء كل شىء.

"**ديكارت**"

● كان يمكن ألا أكون، لو أن أمى قد ماتت قبل أن تلدنى. فلست أنا إذا كائنا واجب الوجود (**بل ممكن الوجود**).. ولســت دائما ولســت لانهائيا.. إذا لابد من **كائن واجب الوجود، ودائم، ولا نهائى**، يـــرتكز إليـــه وجودى، وهو **الله** الذى ندرك وجوده.

"**باسكال**"

● هل الله أوجد ذاته؟.. كلا، لأن معنى هذا أن الله موجود قبل ذاته، ومتقدم عليها، وهذا محال، فهو ثابت إلى الأبد لا يزيد ولا ينقص ولا يطرأ عليه أى تغيير.

"**عوض سمعان** "

وتعليقنا: إضافة إلى ذلك أن ايجاد الله ذاته - جدلاً - هو حدث.. والحدث نه تاريـــخ.. وحيـــث أن الله أزلى، قبل أى حدث، وأى تاريخ، لذلك من المحال أن يكون الله قد أحدث ذاته، إذ هو قبل كل الأحداث.

من أقوال البسطاء

● البعرة، تدل على البعير.. والأثر، يدل على المسير.. فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير.

"**أحد الأعراب**"

من أقوال الكتاب المقدس حول الله الخالق

لا يـمكن بالـطبع حصر كل أقوال الكتاب المقدس، حول هذا الموضوع.. فى هذه المساحة.

فالله هو "**الـخالق**" (رو١:٢٥ & أف٣:٩ & رؤ٤:١١).. وعما خلقه الله، نقرأ على سبيل المثال:

١ – السماوات والأرض

- "فِـي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ **السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**" (تك١:١).. وهى أول عبارة فى الكتاب المقدس.
- يسـال الله أيوب :"أَيْنَ كُنْتَ (يا أيوب) حِينَ أَسَّسْتُ (أنا) **الأَرْضَ**؟.... مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟" (أى٣٨:٤).
- "أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ. أَنْتَ صَنَعْتَ **السَّـمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا، وَالأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا**...." (نح٩:٦).
- "الرَّبِّ.... الصَّانِعِ **السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**،.... وَكُلَّ مَا فِيهَا" (مز١٤٦:٦)
- "اللهُ الرَّبُّ، **خَالِقُ السَّـمَاوَاتِ** وَنَاشِرُهَا، **بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا**، مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا" (إش٤٢:٥).
- "صَانِعُ **الأَرْضِ** بِقُوَّتِهِ، مُؤَسِّـسُ **الْمَسْـكُونَةِ** بِحِكْمَتِهِ، وَبِفَهْمِهِ بَسَـطَ **السَّمَاوَاتِ**" (إر١٠:١٢).
- "الإِلهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ **السَّمَاءَ وَالأَرْضَ** وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا" (أع١٤:١٥).
- "الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِيـنَ، الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاءَ وَمَا فِيـهَا وَالأَرْضَ وَمَا فِيهَا...." (رؤ١٠:٦)

٢- النور

- "وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ" (تك١:٣).. وســــافر النور كموجات ضوئية بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية.

٣- الشمس والقمر والنجوم

- "وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السـَّـمَاءِ.... لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ" (تك١:١٥).
- "فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْـنِ الْعَظِيـمَيْـنِ: **النُّورَ الأَكْبَرَ** لِحُكْمِ النَّهَارِ **(الشمس)**، وَ**النُّورَ الأَصْغَرَ (القمر)** لِحُكْمِ اللَّيْـلِ، وَ**النُّجُومَ**. وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السـَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ" (تك١:١٦،١٧).
- "إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، **الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ** الَّتِي كَوَّنْتَهَا" (مز٨:٣).
- "**اَلسَّمَاوَاتُ** تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَ**الْفَلَكُ** يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مز١٩:١).
- "ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُـــونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ **(النجوم)**؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟" (إش٤٠:٢٦).

٤- البحر

- "الإِلهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ.... وَ**الْبَحْرَ** وَكُلَّ مَا فِيهَا" (أع١٤:١٥).
- "الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، الَّذِي خَلَقَ .... **الْبَحْرَ** وَمَا فِيهِ" (رؤ١٠:٦).

٥- الجبال والرياح

- "هُوَذَا الَّذِي صَنَعَ **الْجِبَالَ** وَخَلَقَ **الرِّيحَ**" (عا٤:١٣)

٦- التوقيت

- "وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ **النَّهَارِ وَاللَّيْلِ**، وَتَكُونَ لآيَاتٍ **وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ**" (تك ١:١٤).

٧- المناخ

- "أَنْتَ نَصَبْتَ كُلَّ تُخُومِ الأَرْضِ. **الصَّيْفَ وَالشِّتَاءَ** أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا" (مز ٧٤:١٧).. وهذا ناتج من ميل محور دوران الأرض - كل يوم - حول نفسها، بزاوية مقدارها ٢٣,٥ درجة ستينية، عن محور دورانها حول الشمس، **أولاً**.. ومن دوران الأرض - كل عام - حول الشمس، **ثانياً**.

٨- جاذبية الكواكب

- "«**هَلْ تَرْبِطُ** أَنْتَ عُقْدَ الثُّرَيَّا (مجموعة نجوم فى برج الثور)، أَوْ **تَفُكُّ** رُبُطَ الْجَبَّارِ (مجموعة الجوزاء)" (أى٣٨:٣١،٣٢).. فيما يعنى أن الله خلق **الجاذبيات** فى النجوم والكواكب.. فجعلها تشد بعضها إلى بعض، كما لو كانت مربوطة (كربط الجبار) بسلاسل، بمسافات ثابتة.. حتى لاتتصادم أوينفرط عقدها (كعقد الثريا).. فلا أحد غير الله الذى **ربطها** وقت أن خلقها، يمكنه التحكم فيها **وفكها**.

٩- الكائنات البحرية والطيور

- "وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ **زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ**». فَخَلَقَ اللهُ **التَّنَانِينَ الْعِظَامَ** (الحيوانات الكبيرة)، وَ**كُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ** كَأَجْنَاسِهَا، وَ**كُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ** كَجِنْسِهِ.... وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً: «**أَثْمِرِي** وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. **وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ** عَلَى الأَرْضِ»" (تك ١:٢٠-٢٢).

١٠- البهائم

- "وَقَالَ اللهُ: «لِـتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّـةٍ كَجِنْسِـهَا: بَـهَائِمَ، **وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ** كَأَجْنَاسِـهَا». وَكَانَ كَذلِكَ. فَعَمِلَ اللهُ **وُحُوشَ الأَرْضِ** كَأَجْنَاسِهَا، **وَالْبَهَائِمَ** كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ **دَبَّابَاتِ الأَرْضِ** كَأَجْنَاسِهَا" (تك١:٢٤،٢٥).

١١- الأطعمة

- **الأطعمة النباتيـة:** "وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْـتُكُمْ كُلَّ **بَقْلٍ**.... **وَكُلَّ شَجَرٍ فِيـهِ ثَمَرُ**.... لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا" (تك١:٢٩).
- **الأطعمة الحيوانية:** وقَالَ (الله) لَهُمْ (لنوح وبنيه) "**كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ** تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ **الْجَمِيعَ**" (تك٩:٣).
- وفى تك (٩:٢) أشار إلى أن المقصود بـ "**الجميع**"، هو كل طيور السماء، مع كل ما يدب على الأرض، وكل أسماك البحر.
- وفى غيبة حدثت لبطرس ".... رَأَى السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِنَاءً نَازِلاً عَلَيْهِ مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيـمَةٍ.... وَمُدَّلاَةٍ علَـى الأَرْضِ. وَكَانَ فِيـهَا **كُلُّ دَوَابِّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشِ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُـورِ السَّـمَاءِ**. وَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ (بالطبع من السـماء):«قُمْ يَا بُطْرُسُ، **اذْبَحْ وَكُلْ**»" (أع١٠:١٠-١٣).

١٢- الإنسان
(الرجل)

- "وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ **الإِنْسَانَ** عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (تك١:٢٦).
- "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَـمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تك٢:٧).
- "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ.... جَابِلُكَ **(الإنسان)** مِنَ الْبَطْنِ" (إش٤٤:٢٤).

- "أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَخَلَقْتُ **الإِنْسَانَ** عَلَيْهَا" (إش٤٥:١٢).
- "يَقُولُ الرَّبُّ.... **جَابِلُ رُوحِ الإِنْسَانِ فِي دَاخِلِهِ**" (زك١٢:١).

١٣- الإنسان

(المرأة)

- "فَأَوقَعَ الـــرَّبُّ الإِلهُ سُـبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَـحْمًا. وَبَنَى الـــرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ **امْرَأَةً** وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: .... هذِهِ تُدْعَى **امْرَأَةً** لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ" (تك٢:٢١-٢٣).
- قول الرب: "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا **ذَكَرًا وَأُنْثَى؟**" (مت١٩:٤)

١٤- كل الأشياء

الخلاصة أن الله خلق كل الأشياء

- "الإِلـــهُ الَّـذِي **خَلَـــقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيـــهِ**، هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ" (أع١٧:٢٤).
- "فَإِنَّهُ فِيهِ (فى المســـيح) خُلِقَ **الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ.... الْكُلُّ** بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ" (كو١:١٦).
- "قَائِلِيـــنَ (الأربعة والعشرون شيخاً): «أَنْتَ مُسْـتَحِق أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ **كُلَّ الأَشْيَـــاءِ**، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ **وَخُلِقَتْ**»" (رؤ٤:١٠،١١).

١٥- ما لا يرى

- كل الأشيـــاء الســابق ذكرها، هى تُرى، والله قد خلقها.. لكن أيضاً خلق ما لا يرى.
- "فَـإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ:..... مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَـاتٍ أَمْ سَـلاَطِينَ (والمقصود الكائنات الروحية التى لا ترى، كالملائكة.. إضافة إلى ما لا يرى من أشعات وموجات مغناطيسية، وخلافه). الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ" (كو١:١٦).
- كل ما يــرى وما لا يرى، لم يكن موجوداً، ولكن الله دعاه فوُجد.. إذ أنه "يَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ" (رو٤:١٧).
- "بِالإِيــمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِيـــنَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" (عب١١:٣٠).. أى أن ما يرى لم يتكون من شىء ظاهر.. وبالمثل ما لا يرى.. فالكل رغم عدم وجوده - ظاهرا - دعاه الله فوُجد.

إشكالية لاهوتية

مادمنا قد وصلنا إلى حتميـــة أن يكون الله خالقاً.. فقد برزت لدينا إشكالية لاهوتية.. وهى:

إن كان الله خالقاً.. كان الخلق أحد صفاته، وبالتالى هى صفة أزليـــة فيه، طالما أن الله أزلى.. فهل كان يمارسها فى الأزل، أم كانت صفة معطَّلة؟

إن قلنا أنها **صفة أزلية** فيه، كان السؤال: كيف كان يمارسها أزلاً؟.. بينما لم يكن هناك فى الأزل السحيق غيره.. وإن قلنا أنها كانت **صفة معطَّلة** فيه، إلى أن مارســـها ساعة الخلق، كان ذلك انتقاصاً من كمال الله؛ "**مطلق الكمال**".. وحاشا أن تكون لـــه صفة معطَّلة عاجز عن ممارســـتها، بيـــنما هو فى الوقت نفســـه"**مطلق القدرة**"، غير مشوب بالعجز، فى أى جانب من جوانب كماله المطلق.

ولـــحل هذه الإشكاليـــة، يـــرى البعض أن الخلق هو عمل من أعمال الله، وليـــس صفة فيـــه.. من ثم لا يـــلزم أن يـــكون العمل أزلياً.. وهم بذلك لا يحلون الإشكاليـــة، بل بالعكس يـــعقدُونها.. لأنه إن كان الخلق عملاً من أعمال الله، فكل أعمال الله نابعة من صفاته وتابعة – وليست سابقة – لها.

ولـــو كان الخلق عملاً، وليـــس صفة لله، يـــكون الله **بعد أن خلق، صار خالقاً**.. واكتســـب بالضرورة صفة الخلق.. **كصفة جديـــدة**، لم تكن له أزلاً.. وإنما صارت له بعد الخلق.

ومن المحال بالطبع أن يـــكتســـب الله؛ "مطلق الكمال" الأزلى، شيئا كان ينقصه فى الأزل.

من ثم يـتعيـن أن يكون الخلق صفة أزلية لله.. وإن مارسـها بعد ذلك، مارسها كحدث له تاريخ محدد.

وهنا، يـدفعنا المنطق للبحث: أنه إن كانت صفة الخلق، هى صفة أزلية لله.. وكان فى الوقت نفسـه، من المستحيل أن يكون عاجزاً عن ممارستها فى أى وقت من الأوقات، فلابد إذاً أن تكون صفة الخلق لديه **عاملة أزلاً**.

فإن لم يكن لنا وجود فعلى فى الأزل، حتى نقول أن الله قد مارسـها، من خـلال خلقنا فى الأزل، فهل كان لنا وجود من نوع آخر - بصورة أو بأخرى، فى الأزل - يمكِّن الله من ممارسة صفة الخلق، من خلال هذا الوجود؟

أو بلغة أخرى: هل كان لنا وجود من نوع ما.. سابق لوجودنا فى الحياة؟

الأمـر الذى حيَّر الشاعر "**إيليا أبو ماضى**"، فتساءل فى رائعته "الطلاسم"، عما إذا كان له هذا الوجود السابق لحياته على الأرض.. أم لا؟.. فكتب:

ليـت شعرى وأنا **فى عالم الغيب الأمين**
أترانى كنت أدرى **أننى فيـه دفيـن**
وبـأنى سـوف أبـدو، وبأنى سـأكون

. . . .

أترانى قبل أن أصبحت إنسـاناً سـويـَّاً
أترانى كنت محوا، **أم ترانى كنت شيـَّـاً**
ألـهذا الـلغز حلٌّ، أم سـيـبقى أبديـَّاً

. . . .

أجديـد، أم قديـم أنا فى هذا الـوجود
أتمنى أننى أدرى.. ولـكن لسـت أدرى

وقبل أن نرى حل الكتاب المقدس لهذا "الطلســم"، نقول - بالمنطق - أن المهندس الذى يــنشئ مشروعاً هندسـياً، فإنه قبل تنفيذه على أرض الواقع، يعمل مشروعا تصورّياً فى فكره أولاً.. ثم يرســمه على الورق (أو فى الكمبيوتر) طبقاً لتصوره الذهنى، ثانياً.. ثم بعد ذلك يقوم بالتنفيذ، أخيراً.

ثلاث مراحل إذاً يمر بها المشروع:

١- العلم والتصور.

٢- التوثيق (فى رسم أو خلافه).

٣- التنفيذ.

أيكون الله - فى مشروعه لخلق الإنسان - أقل من هذا المهندس؟.. لذلك فـإن الخلق - بالمنطق - لابد أن يكون قد مر بهذه المراحل الثلاث المنطقية.. (قبل أن نرى أنها نفس المراحل الثلاث الكتابية).

المرحلة الأولى: مرحلة **التصور**.. لابد أن يكون لله علم ســابق، وتصور واضح لكل ما ســوف يفعله فى زمن ما.. وحيث أن **علم الله أزلى** - بمعنى أنه لا يـمكن أن تكون هناك لحظة، فى الأزل، ولا يـكون الله فيــها عليما - لذلك فإن تصوره لمشروع الخلق هو **تصور أزلى**.

المرحلة الثانية: تسـجيل ذلك التصور فى سجلاّته - غير المدونة بطرق بشرية - بل هى ســجلاّت فكرية فى ذات الله.. وحيث أن **ذات الله أزلية**.. إذاً هذه السجلاّت، بكل ما حوت من أفكار وتصورات إلهية؛ هى بالتبعية **سجلاّت أزلية**.

الـمرحلة الثالثة: تنفيذ هذا التصور الأزلى، المدون فى السجلات الأزلية، فى الزمان، بما **يتفق** تماماً مع كل ما هو مصور ومسجل فيها.

ودأبى فى هذه الحتميات، هو تأجيل الاســتشهاد بالكتاب المقدس إلى نهاية

الفصل.. إلا أنه توضيحاً لهذه النقطة.. وتسهيلا لاستيعابها، أستشهد بجزء من الكتاب، فى هذا الجزء، قبل انتهاء الفصل.. وهو ما أشار إليه الكتاب المقدس فى مزمور (١٣٩:١٥،١٦)، بالنسبة لخلق الإنسان.

"لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ
فِي الْخَفَاءِ، وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ.
رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا
كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا"

ونقرأ هذه العبارات فى ترجمة "داربى" : "**لم تختف** عنك عظامى (كهيكل) حينما صُنِعْتُ سراً **وسُجِّلْتُ** بدقة فى أعماق الأرض. **رأت عيناك أجزائى غير المكوّنة** (التى لم تتكون بعد)، **وفى سفرك كل أعضائى كتبت**. وهى **مصورة** باستمرار (لديك) **قبل أن يكون واحد منها**".

وفى الترجمة التفسيرية: "**لم يخف** عنك كيانى عندما كُوِّنْتُ **فى السر**، وجُبلت فى أعماق الأرض. **رأتنى عيناك** وأنا مازلت جنيناً؛ **وقبل أن تُخلق أعضائى كُتِبَتْ فى سفرك يوم تَصَوَّرْتَها**.

ما المعنى؟

إن الكتاب يؤكد المنطق وهو؛ أن كيانى كان له – **أولاً** – **وجود سرى سابق، فى فكر الله وتصوره**، قبل أن أُخلق أو تُخلق أعضائى، أو يكون واحد منها.. بل أنها – **ثانياً** – **كُتبت فى سفر الله يوم تصوّرها الله فى الأزل**، كمشروع سيتم تحقيقه، فى زمن ما.

وحيث أن فكر الله، وسجلاَّته **هى أزلية**، **إذاً كان لى وجود أزلى فى فكره.. مرسومة** بدقة كل ملامحه.. **ومصورة** باستمرار أمامه.. **ومكتوبة** بالتفاصيل **فى سفره**.

والمسألة مسألة وقت لحين تنفيذ الخطوة الثالثة، وهى الخلق.

وحيث أن الوقت خاضع لسلطان الله.. فأى فترة زمنية لها قياس عندنا، يمكن أن تكون صفراً لدى الله.. لأن الأشياء غير الموجودة فى زمن ما، كأنها موجودة فعلاً، طالما كان لها وجود فى فكره.. ومتى دعاها وُجدت فى التَّو واللحظة.

والقول بأن الله يدعو الأشياء غير الموجودة، **فتُوجد** - بكلمة منه - هو قول **صحيح**.. لكنه **ناقص**.

كيف؟

أولا: صحيح.. فقد قال قائد المئة للرب يسوع: "**قُلْ كَلِمَةً** فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلاَمِي.... قَالَ يَسُوعُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ: «اذْهَبْ، وَكَمَا آمَنْتَ **لِيَكُنْ** لَكَ»" (مت٨:٨،١٣).. **فكان.. ودعا الصحة، فوُجدت** بعد أن كانت **غير موجودة**.. ودعا الميت **غير الموجود فى أرض الأحياء** باسمه: "«لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!»" (يو ١١:٤٣).. فخرج الميت، **ووُجد فى أرض الأحياء**.

وهلم جرا.. يدعو الغير موجود، فيُوجد.. باعتباره الخالق.. وهذا هو الخلق، فى توقيت ما.

ولما كان الخلق - فى أى توقيت - حادثة لها تاريخ، وليست أزلية.. لذلك فإمكانيات الله الأزلى أكبر من القول بأنه يدعو غير الموجود فيُوجد، فى زمن ما.. بينما الله أزلى.. وهذا ليس كل ما فى الأمر.. بل:

ثانياً: إن كان القول بأن الله يدعو غير الموجود، فيُوجد هو قول **صحيح**.. إلا أنه قول **ناقص**.. أما الصحيح الكامل، هو ما كتبه الرسول بولس، عن أبينا إبراهيم، أنه "آمَنَ بِهِ (بالله)، الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ

كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ" (رو ٤:١٧).. إن الله هنا لم يوجدها فى هذه اللحظة (لحظة خلقها).. بل إن هذه **الأشيـــاء غير الموجودة فعلاً وخلقاً فى الزمان.. هى موجودة فى فكره رسماً وتصوراً** فى الأزل.. كما لو كانت **موجودة بالفعل**.. دون أن ينتظر الله مجئ لحظة تنفيذها.

وبين الوجود **التصورى** للمشروع الهندســــى، والوجود **الفعلى** المنفَّذ على أرض الواقع، مسافة زمنية، تطول أو تقصر، حسب **قدرة منفِّذ المشروع**.

هكذا **مشاريـــــع الله** لها **تصور** مرســـوم فى **فكره**؛ ومدَّون **فى ســـجلاته، كوجود تصورى**.. قبل **الوجود الفعلى**.

ولـــما كانت المسافة الزمنية بين هذين الوجودين تتوقف على **قدرة المنفِّذ؛ أى الله**.. ولما كان الله "**مطلق القدرة**".. لذلك فإن هذه المســـافة الزمنية نســـبة إلى قدرة الله المطلقة، لا قيمة لها.. وفى نظره تساوى صفراً[٥].

ذلك لأن العلم الأزلى، لدى الله.. والفكر السحيق، عنده.. والتصور السابق المُسجَّل للوجود، أمامه.. **يتساوى مع الفعل والتنفيذ**.. لماذا؟.. لسببين:

الأول: لأنه لا شئ يـــمنع الله من الـــــتنفيـــذ متى أراد.. ولا ظروف ولا عوائق تقف أمامه لإيجاد غير الموجود.. وبالتالى، هو فى نظره، كأنه موجود.

الثانى: متى أراد، فإنه يـــــقدر، **وبكلمة** منه يتم تنفيذ مشروع الخلق.. فإن كانت المســـافة الزمنيـــة بين المشروع الفكرى الأزلى، وبين التنفيذ الفعلى الزمنى، هـــى لا نهائية.. فهى لا نهائية فى نظرنا نحن؛ أولاد الأمس (أى ٨:١٠).. لكن لدى الله فإن هذه المســـافة الزمنيـــــة يســـتطيع أن يختزلها فتســـاوى صفراً.. لأن غير الــموجود، هو فى نظره كأنه موجود.. بلا فترة زمنية بين وجوده الفكرى، ووجوده الفعلى.. لأنه يقدر أن يدعوه بكلمة فيوجد.

لذلك نستطيع أن نقول أن الله **قد مارس صفة الخلق أزلاً**، ذلك عندما رسم تصميماً للإنسان، وتصوراً، لما سيكون عليه يوماً - كأنه موجود - ودوّن ذلك فى سجلاته.

لم يكن الله إذاً عاطلاً فى الأزل، من جهة صفة الخلق.. إذ مارسها تصوراً وعلماً وتسجيلاً، منذ الأزل.. لأنه "**مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ**" (أع١٥:١٨).

فيا للعجب!!.. أن وُجدت لديه فى الأزل **فكراً وتصوراً**.. وخلقنى فى الزمان **فعلاً وكياناً**.

وما يقال عن الإنسان - كمثال - يقال عن كل مفردات الخليقة.. لأن كل أعماله معلومة لديه منذ الأزل (أع ١٥:١٨).

وبنفس المنطق، لم يكن الله عاطلاً فى أى صفة من صفاته الأخرى، أزلاً.

وفى هذا يكتب خادم الرب الفاضل "**عوض سمعان**" فى كتابه "الله فى المسيحية":

[لا يمكن أن صفات الله كانت فى الأزل عاطلة، ثم أصبحت بعد ذلك صفات عاملة، بسبب وجود الكائنات التى خلقها فى الزمان. بل من المؤكد أن صفاته كانت عاملة من تلقاء ذاتها أزلاً لدرجة الكمال، قبل وجود أى كائن من الكائنات سواه].

ثم يضيف: [بسبب وحدانية الله الجامعة المانعة يكون له تعيُّن أزلى وصفات أزلية، وتكون هذه الصفات ليس بالقوة بل بالفعل أزلاً، وأنه بسبب عملها (أى بسبب كونها عاملة) أزلاً تكون لديه أزلاً صورة كاملة لكل عمل من أعماله وللعالم من كل ناحية من النواحى. وتبعا لذلك تكون له (لله) علاقة

أزلية مع العالم، ويكون بتكوينه إياه (العالم) وفق مشيئته لم ينتقل (اللّه) من لا تعيُّن إلى تعيُّن، أو من سكون إلى عمل. ولايكون قد دخل فى علاقة (مع العالم) لم يكن لها وجود فى ذاته من قبل، بل يكون بتكوينه إياه (العالم) قد جاء نتيجة طبيعية متوافقة كل التوافق مع ذاته، ومابها من خصائص أزلية].

وهذا ما سردناه **بالتبسيط**، من أن صفات الله عاملة فى ذاته أزلاً.. دون تعطيل واحدة منها على الإطلاق.. نظراً لكمال الله المطلق وقدرته الفائقة.. وفى عدد قادم من هذه السلسلة - بمشيئة الرب - سنتناول بتفصيل أكبر موضوع وحدانية الله، المؤدية إلى هذا، وبعض صفاته.

من أقوال الفلاسفة حول هذه الإشكالية

- لأن الله هو العلة الأولى، لذلك **فلمعلولاته** أى (أعماله) **وجود سابق فى علمه.**

القديس"**توما الأكوينى**"

- لـــم يـــنشأ علم الله بالعالم عند وجود العالم، **بل كان لديـــه أزلاً**، لأنه هو خالقه، والخالق يعرف كل شئ عن خليقته، قبل خلقها.

"**عوض سمعان**"

- الإرادة لـــم تنشأ فى الله عندما قام بالـــخلق، بل كانت **ملازمة لـــه أزلاً**، لذلك لم يحدث ولن يحدث بسببها انفعال أو تغيُّر فى الله ".

"**الإمام الغزالى**"

- الله لا يـــتأثر بالزمن، ومن لا يتأثر بالزمن لا يطرأ عليه تغيير بسبب علمه بشئ يـــحدث فيه.... إذ أنه من المؤكد أن الذى لا يتأثر بالزمن لا يكون أمامه ماض أو حاضر أو مســـتقبل، بل يـــكون كل شىء (مهما كان زمن حدوثه) حاضراً أمامه.

"**عوض سمعان**"

من أقوال الكتاب المقدس حول أعمال الله الأزلية

- قول المسيح عن نفسه: "اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ. **مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ**، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ" (أم ٨:٢٢-٢٣).
- وقول الكتاب عن المسيح: "الَّذِي **بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ** قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ بِلاَ عَيْبٍ" (عب٩:١٤).
- وقول الكتاب عنا: "النِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ **قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ**" (أى أزلاً قبل الأزمنة) (٢تى ١:٩) .
- وعن وجود سر أزلى قبل الإعلان عنه فى الزمان، نقرأ: "السِّرِّ الَّذِي كَانَ **مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ**، وَلكِنْ ظَهَرَ الآنَ، وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ" (رو١٦:٢٦).
- وعن علم الله الأزلى، وتصوره السابق، لما سوف يعمله نقرأ: "مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ" (أع ١٥:١٨).
- الآية السابق ذكرها: "لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ، وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ. رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا" (مز١٣٩: ١٥، ١٦)

أسئلة محيرة

وهى ثلاثة أسئلة

السؤال الأول: إن كانت هناك حتمية بأن يكون الله هو الخالق لما خلق فهل هناك حتمية تلزمه أن يخلق ما خلق؟.. أو بلغة أخرى هل هناك حتمية – من الأساس – تلزمه بأن يمارس صفة الخلق، مادام قادراً عليها؟

السؤال الثانى: إن لم تكن هناك حتمية تلزمه بالخلق، وكان ذلك اختياراً أمامه، فلماذا خلق ما خلق؟

السؤال الثالث: مادام قد خلق ما خلق، فلماذا خلقه وقت أن خلقه، لا قبل ذلك ولا بعده؟

السؤال الأول:

إن كانت هناك حتمية بأن يكون الله خالقاً؟.. فهل كانت هناك ضرورة لخلق ما خلق؟.. ولنأخذ مثالاً؛ خلق الإنسان.

أن كانت هناك ضرورة لخلقه، كان الله ناقصاً.. وفى حاجة لاستكمال كماله، بالضرورة، فخلق الإنسان مضطراً.. وحاشا أن يكون الأمر كذلك.

إضافة إلى أنه إن كان ناقصاً فكيف يتأتّى له أن يقوم بعملية الخلق، من الأساس؟

إذاً خَلْقُ الإنسان (وغيره) كان اختياراً من الله لا ضرورة.. كيف؟

وزيـــادة الإيضاح، تستدعى منا أن نعرف نوع وحدانية الله.. وقد رأينا أن الله واحد.. لكننا لم نتطرق بعد إلى نوع هذه الوحدانيـــــة.. وهذا ســـنذكره فى عدد قـادم، بمشيئة الرب.. لكن قبل ذلك للإجابة على هذا السؤال علينا أن نسلِّم - جدلاً - أنها وحدانية "جامعة مانعة".. قبل أن نثبت ذلك لاحقاً.

والـــوحدانيـــة الجامعة المانعة، تتيـــح لله **المتَّصف بالإرادة** - مثلاً - أن يـــمارس هذه الصفة بينه وبين ذاته أزلاً .. فيكون الله **مفعِّلاً إرادته**.. بأن يريد **ذاته** أزلاً.. فيكون هو **المريد.. والمراد.**

ومن **الـــضرورى** أن يـــكون الأمر كذلـــك وإلا تعطلت فى الأزل صفة الإرادة لديـــه.. وذلك حتى لا يكون هناك انتقاص من كماله.. أو احتياج منه لآخر، يجبر به نقصه أو يمارس معه صفاته.

فالله إذاً يـــريد ذاته **بالضرورة**.. أما إن أراد غيره فإنه يريده **بالإختيار**، لا بالضرورة.. لأنه **ليـــس مجبراً على خلقه**.. إن خلقه فلن يـُضيـــف بذلك إلى ذاته شيئاً.. وإن لم يخلقه لم يُنقص من ذاته شيئا.

وهذا ما يـــؤكد لـــنا أن خلـــق الإنســـان (والـــخلـــيـــقة) كان اختيـــاراً - لا اضطراراً - من الله.

السؤال الثانى

إن كان خلق الإنسان اختياراً من الله لا ضرورة، فلماذا خلقه؟

يـــجيبنا القديس "**توما الأكوينى**" - بالمنطق بأن: [الله يـريد ذاته علـى أنه خير وغاية .. ويريد غيره؛ لأن من شأن الخير أن يشرك الغير فى خيريّته]

وبالعودة إلى الكتاب المقدس، نجد أن الله أراد للإنسان الخير مرتين.

الأولى: هيَّأ له - قبل خلقه - ما هو مناسب لحياته الدنيوية.

الثانية: أعدله - قبل تأسيس العالم - ما يمضى به إلى الأبدية السعيدة.

لماذا؟.. كان هذا "حَسَـبَ **مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ**" (أف١: ٣-٥).. "حَسَبَ مَسَرَّتِهِ **الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ**" (أف١: ٩).

فالله يســـر بخير عبيده وسعادتهم.. إذ أنه بهذا يتعظم.. إذ "لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ **الْمَسْرُورُ** بِسَلاَمَةِ عَبْدِهِ" (مز٣٥: ٢٧).

لـذلك نرى الله قديماً، "مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ".. باحثاً عن آدم.. مع أنه كان قد أخطأ (تك ٣: ٨، ٩).. لـماذا؟.. يـقول "لَـذَّاتِي **مَعَ بَنِي آدَمَ**" (أم٨: ٣١).. من ثم فقد دبَّر للإنســان مشروع الخلاص - فى صليـب المسـيح - ليـدخل مع الإنســان فى شركة مسـتمرة وأبديـــة.. كأحد أغراض الله من صلب المسيح[٦].

السؤال الثالث

لـماذا خلق الله الإنسان وقت أن خلقه؟.. لماذا لم يخلقه قبل ذلك الوقت، أو بعده.

يجيبنا القديس "**أغســطينوس**": [أنه لا محل للتسـاؤل: لماذا خلق الله العالم فى زمن دون آخر، لأن الـزمن لم يـكـن لـه وجود قبل خلق الـعالم.. إذ أن بدء الخلق هو بدء الـزمن، لـذلـك فإن خلـق العـالم من العدم (وصحتها من غير الموجود) ليست فيـه مفاضلة بين زمنين، إذ ليـس هناك زمن قبل خلق العـالم، كـان الله فيـه عاطلاً لا يعمل شيئاً]

ولتوضيح قول "أغسطينوس" نشير إلى نقطتين فيه:

١- إن كان مرور الزمن بتقويمنا له، هو **مروره** بسرعة الضوء[٧] فإنه قبل خلق النور (الضوء) (تك١:٣) لم يكن هناك **مرور للزمن**.. لأنه لم يكن هناك **ضوء**، وبالتالى لم يكن هناك **زمن يمر**.

٢- أما إن قلنا أن هناك زمن، أو فترة زمنية قبل الخلق الفعلى، فإن الله فى هذه الفترة كان عاملاً.. أى ممارساً صفاته أزلاً.. وبالتالى ليس هناك زمن قبل ممارسة الله صفاته فى الأزل.. ومنها صفة الخلق.. وعليه لا تكون لحظة خلق الإنسان، هى وقت خلقه - كما رأينا - إذ أن له وجوداً أزلياً فى فكر الله وسجلاته - كما سبق الإشارة - قبل خلقه.. ولأنه لا زمن قبل الأزل، فإنه ليس هناك زمن لدى الله - قبل وجود الإنسان، ومشروع خلقه (وباقى الخليقة).. وبناء عليه، لامحل لهذا التساؤل.

من أقوال الفلاسفة حول هذه الأسئلة

- الله يريد ذاته "أزلاً" **بالضرورة**، لأنها (أى ذاته) الموضوع الخاص بإرادته. ويريد غيره **بالاختيار**، لأن هذا الغير لن يزيد الخيريَّة الإلهية شيئاً.

القديس "**توما الأكوينى**"

وتعليقنا: أنه من **الضرورى** أن يمارس الله إرادته الأزلية فى أنه يريد ذاته؛ لأنها (أى إرادته) عاملة أزلاً بينه وبين ذاته.. بينما ليست هناك ضرورة تلزم الله أن يريد غيره.. لأن هذا الغير لن يضيف شيئا إلى الله.. فهو خيِّر فى كل الأحوال.

من أقوال الكتاب المقدس حول هذه الأسئلة

عن **السؤال الأول** بخصوص عدم وجود ما يُلزم الله لخلق ما خلق هو:

- قول الله لموسى: "«**أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ**».... هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ" (خر٣: ١٤،١٥).. بمعنى أنى الكائن بذاتى والذى أكون، وإلى الأبد، **دون حاجة إلى شئ**، فى أى دور من أدوار الزمان.. **وغير مُلْزَمْ بشئ.**
- قول الرب عن نفسه أنه: "**الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي.... الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**" (رؤ١: ٤،٨).. بمعنى الكائن بذاتى ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.. والقادر على كل شئ.. **الغالب وليس المغلوب على أمره.. أو المُجْبَر أو المُلْزَم على شئ دون إرادته.**

عن **السؤال الثانى** بخصوص سبب خلق الإنسان، نقرأ:

- يجيبنا الكتاب قول الرب: "**لَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ**" (أم٨:٣١).. إضافة إلى الشواهد السابق ذكرها، عند طرح هذا السؤال.

عن **السؤال الثالث** بخصوص وقت الخلق، نقرأ:

- عن سلطان الله على الوقت: "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا **الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ**" (أع١:٧).
- "لأَنَّ كُلَّ **أُمُورِهِ لاَ يُجَاوِبُ عَنْهَا**" (أى ٣٣:١٣).. و"مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟" (رو١١:٣٣،٣٤).. لذلك فهو لن يجيب على هذا السؤال، عن وقت الخلق.. فهو الذى "حَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ...." (أع١٧:٢٦).

- "أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ (لأن الـوقت لم يحن بعد) أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا! **(متى حان الوقت المحدد من جانب الله)**" (لو١٨: ٧،٨).
- "أَنَا الرَّبُّ فِي وَقْتِهِ أُسْــرِعُ بِهِ" (إش٦٠:٢٢).. أى عندما الوقت المحدد من الله لعمل شيء ما، فإنه يسرع فى عمله دون إبطاء.

إلحاق

تأكيداً لما سبق نشره فى عدد سابق عن حتمية، بل وجوب، أن يكون هناك إله لهذا الكون.. وإلحاقاً لما تم ذكره فى هذا العدد عن موعد خلق هذا الكون نلاحظ الآتى:

ليست الخليقة أزلية.. وهو ما تصادق عليه نظرية التطور.. وتضيف النظرية أن الخليقة الكائنة لها بداية، ولتكن – جدلاً – منذ ملايين السنين.. وقد تطورت الخليقة خلال هذه المدة من جرثومة صغيرة، إلى أن وصلت إلى ما هى عليه الآن.

والسؤال الآن: قبل هذه الملايين من السنين، وقبل وجود هذه الجرثومة، ما الذى كان موجوداً منذ الأزل؟

هل هو العدم.. فإن كان هناك عدم سابق للحياة فكيف يلد العدم حياة.. ولو فى هيئة جرثومة؟

وإن ولد – جدلاً – حياة، فلماذا ولدها بالتحديد وقت أن ولدها.. لا قبل هذه الملايين.. ولا بعدها بملايين أخرى؟

ولما كان من المستحيل بالمنطق، قبل الكتاب:

أولاً : أن يلد العدم حياة، أو أى شئ.

ثانياً : أن تكون للعدم الإرادة الحرة فى تحديد تاريخ ميلاد الحياة.. لا قبل ذلك ولا بعده.

نتيجة لذلك:

إمــا أن نلغى عقولنا، ونسلِّم بأن للعدم هذه القدرة الفائقة على منح الحياة.. وهذه الإرادة الحرة المطلقة فى تحديد الأزمنة والأوقات.

وإما أن نســـلم **بالمنطق قبل الكتاب**، أنه لابد أن يكون هناك من هو أسبق من كل شئ (أى أزلـــى) ولـــه القدرة المطلقة على منح الحيـــاة، إذ هو حى.. وله الحرية الكاملة والسلطان المطلق على تحديد الأزمنة والأوقات.

وهذا لن يكون شيئاً **سوى الله** مطلق الكمال، والقدرة، والإرادة، والحرية، والسلطان.

الحتمية الثالثة

هل هناك ما يحتم أن يكون الله واحداً

لا شريك له؟

مـــــقدمة

إن كنا قد أثبتنا - بالمنطق - فى عدد ســـابق (رقم ٢٥) من هذه السلسلة، حتمية - بل وجوب - أن يكون هناك إله لهذا الكون.. كحتمية أولى.

وإن كنا قد أثبتنا - بالمنطق أيـــضاً - فى صدارة هذا العدد، حتميـــــة أن يكون هذا الإله هو الخالق.. كحتمية ثانية.

وإن كنا ســـنرصد - بالمنطق أيـــضاً - فى أعداد قادمة، حتمية أن يكون هناك تواصل بين هذا الإله، وبين خليقته العاقلة.. وحتمية أن يكون رباً يســـتحق.. العبادة.. ومن ثم يحاسب عبيده؛ مستقبلا.. إلخ.

فإننا فى هذا العدد، ســـنرى - بالمنطق أيضا - **حتمية أن يكون هذا الإله واحداً، لاشريك له..** كحتمية ثالثة.

تمهيـــــد

البند الأول : بالرجوع إلى الحتميـــة الأولى.. وهى حتميـــة - بل وجوب - أن يكون هناك **إله لهذا الكون**.. فالسؤال عندئذ يكون:

هل يمكن أن يكون هناك إله (أو أكثر) قد تشارك معه فى **هذا الوجود**؟

البند الثانى : إن كنا وقفنا على الحتميـــة الثانيـــة.. وهى حتمية أن يكون هذا الإله **خالقاً**.. فالسؤال عندئذ يكون:

هل يمكن إن يكون هناك إله (أو أكثر) قد تشارك معه فى **عملية الخلق**؟

البند الثالث : إن كنا ســـنرى - فى عدد قادم - حتمية أن يكون هذا الإله مستحقاً أن **يُعبد كربٍّ**.. فالسؤال عندئذ يكون:

هل يمكن يكون هناك إله (أو أكثر) قد تشارك معه فى **هذه الربوبية**؟

البند الرابع : إن كـــنا سنرى - فى عدد قادم - حتمية أن يكون هناك تواصل بين هذا الإله، وبين خليقته العاقلة عن طريق إعلان ذاته لهم بكيفية ما.. تـــتضمن **القانون** الذى سيحاسبهم على أساسه.. فالسؤال يكون عندئذ يكون:

هل يمكن أن يكون هناك إله (أو أكثر) قد تشارك معه فى **وضع هذا القانون**؟

البند الخامس: إن كـــنا سنرى - فى عدد قادم - حتمية أن **يحاسب** هذا الإله، البشر من خلائقه - مســـتقبلاً - طبقاً للقانون الذى وضعه لهم.. فالســـؤال عندئذ يكون:

هل يمكن أن يكون هناك إله (أو أكثر) سوف يشترك معه فى **عملية المحاسبة**؟

البند الأول

التشارك فى الوجود

لا يمكن أن يكون هناك أكثر من إله، تشاركوا فى الوجود، للأسباب الآتية:

أولاً: [الكثرة لاتوجد إلا فى الكائنات، حيث يوجد الضعف والانقراض فيها، ليحل واحد من أفرادها عوضاً عن المنقرض، حفظاً لكيانها.. وبما أن الله لا يضعف.... ولا يتغير على الإطلاق (باعتباره مطلق الكمال.. المنزه عن الضعف والتغيُّر) لذلك لايمكن أن يكون هناك إله سواه]. **"عوض سمعان"**

ثانيا: [لو افترضنا أن هناك إلهين، لكان كل منهما متحيِّزاً بمكان].
"عوض سمعان"

والله **ليس متحيِّزاً** بمكان.. والأدلة على ذلك:

١- [الله خالق المادة، وبالتالى لا أثر للمادة فيه] **"عوض سمعان"**

وتعليقنا: لأن الله لا أثر للمادة فيه، وإلا ما كان قادراً على خلقها.. إذ كيف توجد المادة نفسها، أو مثلها؟

٢- كما أنه لما كانت المادة متحيِّزة بمكان وجودها.. ولما كان الله لا أثر للمادة فيه - بل هو روح - **فالله إذاً غير متحيِّز.**

٣- الله خالق المادة؛ وهى السموات والأرض.. فهو إذاً موجود قبلها.. وبالتالى هى لا تحدُّه.. بل العكس، هو الذى يحدها.. وهى لا تسعه.. بل العكس، هو الذى يسعها.. إذاً هو يسمو فوقها.. ولما كانت السموات والأرض متحيزة بمكان، فمن يكون من هو أسمى منها؟.. إنه ليس إلا **غير المتحيز بمكان**؛ ألا وهو خالقها، أى الله.

٤- التحيز بمكان.. أى شغله واحتلاله، هو حدث.. والحدث له زمان حدوث، وليس أزليا.. ولما كان الله أزليا؛ لذلك **فإنه لا يتحيز قط**.. بمكان ما.. فى وقت ما.. منذ الأزل وإلى الأبد.

وبذلك نصل إلى هذه الخلاصة:

خلاصة البند الأول

أولاً: لما كان وجود أكثر من إله، يستلزم أن يكون كل منهم محاطاً بالضعف.. مما يتنافى مع الألوهية.. إذ أن "القوة المطلقة"، هى من مستلزمات الألوهية.

لذلك لا يمكن أن يتواجد إلا إله واحد لا شريك له

ثانياً: لما كان وجود أكثر من إله، يستلزم أن يكون كل منهم قابلاً للانقراض.. مما يتنافى مع الألوهية.. إذ أن "دوام البقاء" هو من مستلزمات الألوهية.

لذلك لا يمكن أن يتواجد إلا إله واحد لا شريك له

ثالثاً: لما كان وجود أكثر من إله، يستلزم تحيز كل منهم بمكان حدوث التحيز.. مما يتنافى مع الألوهية.. إذ أن عدم التحيز هو من مستلزمات الألوهية.

لذلك لا يمكن أن يتواجد إلا إله واحد لا شريك ل

رابعاً: لما كان وجود أكثر من إله، يستلزم وجود زمن لتحيز كل منهم.. مما يتنافى مع الألوهية.. إذ أن الأزلية – قبل أى زمن – هى من مستلزمات الألوهية.

لذلك لا يمكن أن يتواجد إلا إله واحد لا شريك له

البند الثانى

التشارك فى الخلق

لا يـــمكن أن يكون هناك أكثر من إله تشاركوا فى خلق هذا العالم.. فإن افترضنا أن هناك إلـــهيـــن، على ســـبيـــل المثال، قد اشتركا فى الخلق.. فإننا أمام احتمالين.. أنه إما كانا قد اتفقنا.. وإما كانا قد اختلفا.

الإحتمال الأول

اتفاق الآلهه

١- إن افترضنا أن هناك إلهين، وكانا قد اتفقا معاً على خلق هذا العالم، **ما كان كل منهما مستقلاً**.. بل كان يعمل مع غيره.. أو ضمن فريق للخلق، إن كانوا آلهة كثيـــريـــن.. مما يـــتنافى مع الألوهية.. إذ أن "**الاســـتقلال المطلق**"، هو من مستلزمات الألوهية.

٢- وإن كانا قد اتفقا على اقتسام عملية الخلق.. كل منهما يخلق جزءاً من الخليقة.. ويترك الجزء الآخر لشريكه فى الخلق، **لكان كل منهما محدوداً فى ســـلطانه**، بدائرة ما خلق.. وليـــس مطلق الســـلطان.. مما يتعارض مع الألوهية.. لأن "**السلطان المطلق**"، هو من مستلزمات الألوهية.

٣- وإن كـــانا قد اتفقا على أن يقوم واحد منهما بخلق الكون، مثلاً.. والثانى بإدارته (واحـــد يخلق والثانى يدير) لكان الأول **عاطلاً** عن الإدارة.. والثانى **عاطلاً** عن الـــخلق.. مما يـــتعارض مع الألوهيـــة.. إذ أن "**الكيـــنونة العاملة**"، هى من مستلزمات الألوهية.

وبذلك نصل إلى هذه الخلاصة:

خلاصة الاحتمال الأول

لـــيس من المعقول ولا من المنطقى أن يكون هناك اكثر من إله واحد "مطلق الاســـتقلال".. و"مطلق الســـــلطان".. فى "كينونة عاملة".. لا شريك له.. متفقاً معه فى عملية الخلق.

****

الإحتمال الثانى

اختلاف الآلهه

إن كان هناك إلـــهان، وقد اختلـــــفا، ما كان هناك تناغم وانســـجام بيـــن الـــمخلـــوقات فى العالم.. ولكان العالم بعد أن خُلق، قد تلاشى.. أو ما كان له فى الأصل أن يُخلق أو يُوجد.

وهذا التناغم والتناســـق فى الطبيعة، نجده على ســـبيل المثال، لا الحصر فى:

أولاً : الاتزان البيئى

ثانياً : التكيُّف البيئى

ثالثاً : الصلاحية البيئية

رابعاً: التخفى البيئى

وغير ذلك.

أولاً: الاتزان البيئى

وهو تناسب أعداد كل نوع من الخلائق، مع أعداد غيرها فى سيمفونية عجيبة.. تتوازن فيها الأنواع.

أى أن هناك نسبة عددية لكل نوع من الخلائق، منسوباً إلى عدد أفراد الخلائق الأخرى.. وعلى سبيل المثال:

١- **أسمى المخلوقات:** وهو الإنسان.. وفيه نجد تناسب عدد الرجال مع عدد النساء.. فلم يحدث أن كان عدد الرجال مثلاً، أربعة أمثال عدد النساء.. أو العكس.. فهل كانت للنطاسة، أو للطب، على مدى التاريخ، يد فى تحديد هذه النسبة المعقولة.

فإن كان هناك إلهان واحد لخلق الرجال؛ والآخر لخلق النساء.. فهل كانا - بعد أن اختلفا فيما بينهما - قد أوجدا هذه النسبة المعقولة، أو حافَظَا عليها؟

٢- **أدنى المخلوقات:** وهى الحشرات.. وفيها نجد - على سبيل المثال - تناسب أعداد الصراصير، مع أعداد العناكب (جمع عنكبوت).

كثرت الصراصير، فى جزر هاواى، عام ١٩٤٥، فى كارثة بيئية.. فما كان من السكان إلا أن استوردوا نوعا من العناكب، يقتات على الصراصير.. حتى يحدث الاتزان البيئى بذلك.

لذلك فوجود العناكب فى الطبيعة، بنسبتها إلى غيرها، تلك النسبة التى حددها الخالق، هو فى غاية الأهمية لاستمرار الحياة.. وإن كان ذلك غير واضح للنظرة السطحية لأهمية وجود العناكب.

فإن كان هناك إله لخلق الصراصير.. والآخر لخلق العناكب فهل كانا - بعد أن اختلفا فيما بينهما، من جهة الخلق - قد أوجدا هذه النسب الدقيقة بين

عشرات – إن لم يـكن مئات – الآلاف من الخلائق.. فيـما يؤدى إلى هذا الاتزان البيئى.. عبر آلاف السنين التى عاشتها الخليقة؟

ثانيا: التكيف البيئى

كل نوع من المخلوقات لديه ما يمكنه من التكيف مع البيئة المحيطة به.

فوجود الطعام، يحتم وجود معدة لدى الخلائق التى تقتات عليه، كالثدييات وغيرها.

ووجود الهواء، يحتم وجود رئات لدى خلائق، تعيش على استنشاقه.

وعدم وجود الهواء، يحتم وجود خياشيم للأسـماك، تستخلص بواسطتها الهواء من بين لجج المياه.

واقتيات الكواسـر على **الفرائس**، يحتم أن تكون أسنانها فى نمو مستمر، تعويـضاً لها عما تتعرض له من اسـتهلاك ونحت، بل وتكسـيـر، خلال عملية الافتراس.

وعـلى سبيل المثال، لماذا يقرض الفأر الخشب وخلافه، دون أن يأكله، أو يـكون مضطراً لأكله؟.. أهو نوع من التدمير غير المبرَّر للبيئة؟.. كلا.. بل لأن الـفأر هو نوع من القوارض، التى تقتات على الهوام وصغار الطيـور والحبوب (والجثث وقت الحروب).. ولأن أسـنانه تنمو بمعدل ١٥ سـنتيـمتراً فى العام.. وبعضها تنمو أسنانه بمعدل ملليمتر واحد كل يوم، أى بمعدل أكثر من ٣٦ سنتيمتراً فى العام.. لذلك يـلجأ إلى الأخشاب أو ما أشبه، يـعمل فيـها قرضاً، ليزيل هذه الاسـتطالة المسـتمرة.. حتى لا تطول أسنانه إلى حد لا يسعها فمه.. ويصبح غير قادر على الحياة.

فلو كان هناك إلهان – قد سبق لهما الاختلاف فيما بينهما من جهة الخلق – واحد قد خلق الفأر.. والآخر قد خلق الأشجار.. فهل كان الثانى سيخلق أشجاراً ذات أخشاب قابلة للتآكل.. أم كان سيخلقها صلدة.. طالما لم يتفق مع الأول؛ خالق الفئران؟

وهل كانا سيصلا معا إلى هذا التكيف البيئى العجيب بين الخلائق[٨].

ثالثا: التخفِّى والتمويه

تتميز الخلائق الضعيفة الموجودة بين خلائق أخرى تتربص بها لافتراسها والاقتيات عليها، بخاصية التخفى والتمويه.. حتى تنجو من براثن مفترسيها.

مثال ذلك لا حصره.. السمكة، ظهرها أسود.. وبطنها أبيض.. لماذا؟.. لأن الناظر من أعلى إلى أسفل – إن كان إنساناً أو كائناً بحرياً – يرى قاع البحر بلون أسود.. ولأن ظهر السمكة أسود، فإنه لا يراها.. والناظر تحت سطح الماء، من أسفل إلى أعلى، فإنه يرى سطح الماء فضيّاً.. ولأن بطن السمكة أبيض فضى، فإنه لا يراها.

كذلك الحرباء.. وغيرها، ممن لها القدرة على تغيير لون جلدها، بما يتطابق مع لون البيئة المحيطة.. فإن كانت صحراء، تلون لون جلدها بلون الرمال.. وإن كانت بيئة زراعية، تحول لون جلدها إلى لون المزروعات.

بل الأكثر من هذا، فإن للحرباء وأمثالها القدرة أيضاً – غير المقصودة منها طبعا – على تغيير لون جلدها تبعا لحالتها النفسية.. فإن كانت خائفة – مثلا – تغير لون جلدها إلى لون مزعج لمن يحاول الاقتراب منها.

فلو كان هناك إلهان – قد سبق لهما الاختلاف فيما بينهما، من ناحية

الخلق - واحد منهما خلق السمكة.. والثانى خلق البحار.. فهل كان الأول سيتفق مع الثانى فى خلق السمكة بهذين اللونين، ليناسبا لون قاع البحر، أو سطح الماء.

وبالمثل - بالنسبة للحرباء - هل لو كان هناك إلهان.. الأول خلق الحرباء .. والثانى خلق من يفترسها.. فهل كانا - بعد أن سبق لهما الاختلاف فيما بينهما - سيتفقان على أسلوب التخفى العجيب هذا.

رابعا: الصلاحية البيئية

وهى صلاحية البيئة للمخلوقات التى تعيش فيها.. فكل بيئة تقدم للمخلوقات الساكنة فيها ما يلزمها من طعام وإيواء، وغيره.

فالبيئة الاستوائية تقدم طعاماً يناسب المخلوقات الاستوائية، من حيوانات وطيور ودبابات ونباتات.. والبيئة القطبية، على سبيل المثال، توفر للدب القطبى طعامه من الفقمات.

والمدهش أن هذا الدب القطبى يفترس الفقمة (كلب البحر) وهو فى أوج قوته.. فإن حلّ الشتاء، لجأ للبيات الشتوى.. وبعد شهور بياته داخل صومعة من الجليد الذى انهمر عليه.. يخرج منها هزيلاً شاحباً - كمريض خارج من مستشفى - غير قادر على التماس طعامه بالافتراس.. ماذا يأكل؟.. إنه يجد أسراباً من الجراد داهمها الجليد أثناء نزوله - فى بداية الشتاء - واحتبسها بين طياته.. وإذ يخرج الدب من مسكنه الثلجى - بعد الشتاء - يجد الجليد قد بدأ يذوب كاشفاً عن طبقات من هذه الحشرات.. يلعقها بلسانه كطعام، لم تنته مدة صلاحيته.. ويلعق معها بلسانه أيضاً ماءً مقطَّراً.

فلو كان هناك إلهان - مختلفان فيما بينهما من جهة الخلق - الأول خلق الدببة.. والثانى خلق الجراد.. فهل كان الثانى سيتفق مع الأول على خلق جراد

يسافر إلى القطب قبل فصل الشتاء؟.. ولو كان هناك إله ثالث خلق المناخ والسحب والأمطار، هل كان ســـيتفق مع الإثنين على مواكبة موعد نزول الجليد، مع موعد هجرة الجراد؟

والدودة العمياء، تشق طريقها – فى باطن الأرض – كأنها تراه، ولكن بلا عيـنيـن.. كيـف؟.. عن طريـــق الأشعة فوق البنفســجية، التى تتخلل التربة.. وتستشعرها الدودة.. وتسير على هديها.. فلو كان هناك إلهان – مختلفان فيما بينهما من جهة الخلق – الأول خلق الدودة.. والثانى خلق النور – بإنكســـاراته التسعة – هل كان الثانى سيتفق مع الأول على خاصية انكسار الضوء.

ومــثلاً النحلة التى تسترشد بالأشعة فوق البنفسجية التى تخترق السحاب.. فالنحل يرسل نحلة عاملة لتكتشف مواقع الرحيق وتسجل عنوانه فى ذاكرتها.. وهو المســـافة بين الرحيق وبين الخلية.. والزاوية بين خط السير، وبين شعاع الشمس.. لتعود إلى الخليـــة وتخبر باقى الشغالات بهذا العنوان، عن طريق رقصة مشفَّرة.. تتعلمها الشغالات وترقصها، فيـما يـفيـد أنها فهمت العنوان، لتطير بعد ذلك إلى الرحيق، فى هذا العنوان، بالمسافة وزاوية السير اللتان حددتهما الشغالة.

ما الـــذى يـحدث إن غابت الشمس.. أو كان النحل فى بلاد غائمة طول العام؟.. إن الأشعة فوق البنفســجية المنكســرة من أشعة الشمس تخترق الســحب، فتسترشد بها العاملات.. فلوكان هناك إلهان –مختلفان فيما بينهما، من جهة الخلق– الأول خلق النحل.. والثانى خلق النور بانكساراته.. هل كان الثانى سيتفق مع الأول على خاصية انكسار الضوء.. لخدمة مخلوقات الإله الأول؟

وغيـــر ذلك مما لا يُعد ولا يُحصى من مظاهر صلاحية البيئة لمخلوقات بيئتها.

وبذلك نصل إلى هذه الخلاصة:

خلاصة الاحتمال الثانى

ليس من المعقول ولا من المنطقى، أن يكون هناك أكثر من إله واحـد، مطلق الحكمة، ومطلق القدرة، خالق الكل.. لا شريك له - مختلفاً معه - فى عملية الخلق

البند الثالث

التشارك فى الربوبية

لا يـمكن أن يـكون هناك أكثر من إله يتشاركون فى الربوبية (أى فى كونهم أرباباً يستحقون العبادة من خلائقهم العاقلة).

لأنه لو كان هناك أكثر من إله، **لما اتفقوا** على من يكون منهم مستحقاً العبادة.

لأنهم **إن اتفقوا** على أن يكون أحدهم هو الرب المعبود.. كان الآخر **عديم الربوبية.. وعاطلاً** من هذه الجهة.

وإن تقاسموا الربوبية..كلٌ يصير رباً لفريق من البشر.. لانقسم العالم إلى أكثر من فريـق.. واحتار الناس أيهم يعبدون.. إضافة إلى أنه فى هذه الحالة، كان كلٌ منهم **محدوداً فى الربوبية**.

ولما كان هناك من يـنادون بتعدد الآلهة، فقد تفتق خيالهم عن توفيق لهذا التعدد.. وذلك عن طريـق تخصيص مناطق جغرافية.. أو مجالات تخصصية لكل منهم.. يتألَّه فيها.. ويبسط ربوبيته على شعبها.

فعند الـفراعنة: كان "حابـى"، هو معبود "ممفيـس".. و"آش"، هو إلـه الـصحراء.. و"نخبت"، هو إله الوجه القبلى.. وابن آوى؛ "أنوبيس"، هو إله الموتى وحارس الجبانة.. والبقرة المقدسـة "مَحِيتْ ورْت"، هى من تستقبل المومياوات فى بر "طيـبة" الغربى.. وغير ذلك كثير.. وعلى رأس هؤلاء جميعاً، كان آمون، هو رب أرباب طيبة.. وزوجته "موت"، هى أم الآلهة.. وإبنتهما "خونسـو"، هى إلهة الشباب والقمر.

أما عند الصيدونين، فكان "البعل" هو رب الغلَّة.

وعند العقرونيين، كان "بعل زبوب" هو إله الذباب!!

وعند الأشدوديين، كان "داجون" هو إله الخصوبة الزراعية.

وعند الأشوريين، كان "نسروخ" هو إله النار أو الزراعة.

وعند الفينيقيين والكنعانيين، كانت "عشتاروت" هى إلهة الخصب.

وعند الأفسسيين، كانت "أرطاميس" العظيمة، إبنة "زيوس" ملك الآلهة، هى إلهة الصيد والبرية، وصاحبة الخدمات المتعددة.

وما هذه إلا أمثلة.. أفيُعقل كل هذا؟

ولما كان هذا التعدد - إن صح -:

أولاً: يتنافى مع المنطق السليم الذى يوجب أن يوحد العبادة لرب واحد.. حتى لا يرتبك العباد.

ثانياً: يقلل من قيمة كل منهم.. مما يتعارض مع الألوهية.. إذ أن "**مطلق الربوبية**" هو من مستلزمات الألوهية.

وبذلك نصل إلى هذه الخلاصة:

خلاصة البند الثالث

أنه لا يمكن أن يكون هناك إلا إله واحد، لا شريك له - متفقاً أو مختلفاً معه - فى الربوبية.. معبوداً من جميع العباد.

البند الرابع

التشارك فى وضع الناموس

لا يـــمكن أن يــكون هناك أكثر من إلـــه تشاركوا معاً فى وضع ناموس واحد، مطلوب من كل البشر أن ينفذوه ويلتزموا به ويعيشوا بموجبه.

لأنه لو افترضنا أن هناك إلهين - فهل كانا ســـيتفقان على وضع ناموس واحد.. وإن حدث هذا لتقاســـما معاً وضع بنوده.. مما يقلل من حرية كل منهم فى هذا المجال.. مما يـــتنافى مع الألوهيـــة.. أذ أن "**حرية التشريع المطلقة**"، هى من مستلزمات الألوهية.

وإن كانا قد اختلفا لَوَضَعَ كل منهما ناموســـاً مخالفاً للآخر.. مما يســـقط حُجِّيَّة كل ناموس منهم.. ويعطى للبشر الحجة فى رفضهما جميعاً.. الأمر الذى يفقد كل إله منهم الأســـاس الذى يحاسبون البشر عليه (وهو الناموس).. مما يتنافى مع الألوهية.. أذ أن "**وضع تشريع واحد ملزم للعباد**"، هو من مستلزمات الألوهية.

وفى هذا الصدد يـــكتب الدكتور "**محمد مختار جمعة**" وزيـــر الأوقاف.. أثناء زيارته للدقهلية.. بمناســـبة "اليوم العالمى للتســـامح"، الذى دعت إليه "الأمم المتحدة": [يستحيل أن يكون لله شرعان (ناموسان)]

(المصرى اليوم ٢٠١٨/١١/١٧)

وبذلك نصل إلى هذه الخلاصة:

خلاصة البند الرابع

لا يـــمكن أن يكون هناك إلا إله واحد، دون شريك - متفقاً أو مختلفاً معه - فى وضع تشريع واحد للجميع.

البند الخامس

التشارك فى الدينونة

لا يـــمكن أن يكون هناك أكثر من إله، يتشاركون فى وقوف جميع الناس أمامهم للمحاسبة والدينونة.

لأنه إن كان هناك أكثر من إله للمحاسبة والدينونة.. فـ :

أولاً: إن اختلفوا، فأى أى إله منهم سـيُحاسَـب البشر أمامه؟.. فإن وقفوا أمام واحد، ظل الآخر عاطلاً عن الديـــنونة.. مما يتعارض مع الألوهية.. إذ أن "**الكينونة العاملة**" هى من مستلزمات الألوهية.

ثانياً: إن اتفقوا على أن يتقاسموا الدينونة فيما بينهم، لقلل هذا من شأن كل إله منهم من جهة سـلطانه المطلق، فى العدالة.. مما يـــتنافى مع الألوهية.. أذ أن "**العدالة المطلقة**"، التى لا تقبل التجزئة هى من مستلزمات الألوهية.

أيـام الاحتلال الإنجليزى لمصر، كان هناك ما يسمى بالمحاكم المختلطة.. الـتى كانت تحكم فى أى خلاف بين مصرى وأجنبى.. ذلك لاختلاف القوانين وتعدد القضاة.

فهل من الـــمعقول إذاً أن يـقف البشر أمام محاكم إلهيـة تماثل المحاكم المختلطة.. يجلس على منصتها أكثر من قاض.. كل منهم له ناموس مختلف.

وبذلك نصل إلى هذه الخلاصة:

خلاصة البند الخامس

أنه لا يمكن أن يكون هناك إلا إله واحد، لا شريك له - مختلفاً أو متفقاً معه - يـقف أمامه جميـع البشر.. للديـنونة يـوم الحساب.

****

وبـعد هذه الخلاصات جميعها - وغيرها - نستطيع أن نجزم - من خلال المنطق، قبل الكتاب - بهذه الحتمية الثالثة؛ وهى **حتمية أن يكون هناك إله واحد لا شريك له، فى هذا الوجود.**

من أقوال الفلاسفة حول الإتزان والانسجام البيئى

- إن الانسجام الوظائفى فى الكون، يرجع الفضل فيه إلى الخالق.

"**بيركلى- ديكارت**"

- إن العالم آيـــة فى الجمال والنظام، ولايـــمكن أن يـــكون هذا نتيجة علل اتفاقية (عشوائية)، بل هو صنع **عاقل**، توخى الخير ورتب كل شيء عن قصد وحكمة.

"**أفلاطون**"

- من المستحيل على قوة عمياء أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام الذين يتجليان فى هذا العالم، لأن القوة العمياء لا تنتج إلا الفوضى.. فالذى يحرك المادة، هو **عقل رشيد يصير حكيم**.

"**أناكساغورث**"؛ أحد فلاسفة اليونان الأوائل

- لا يمكن أن الخالق يلعب النرد بالدنيا.

"**اينيشتاين**"

توضيح: لأن لعب النرد (الطاولة) يعتمد على رمى الزهر بعشوائية، كيفما أتفق.

من أقوال الكتاب المقدس حول الاتزان والانسجام البيئى

- عن **انكسار الضوء** لخدمة بعض الخلائق؛ كالدودة العمياء، والنحلة، اللتان تنقادان بالأشعة (المنكسرة) فوق البنفسجية، نقرأ: "فِي أيِّ طَرِيق يَتَوَزَّعُ (parted = يتجزَّأ، أو يتفرق) النُّورُ"(أى٣٨: ٢٤).. فالنور أى الضوء ينفصل وينكسر إلى تسعة ألوان (فى قوس القزح) .. يستطيع المرء أن يرى سبعة منها.

- عن **تهيئة الله الطعام لكل كائن** حسب إمكانياته التى منحها له الله، وبما يتمشى مع بيئته، نقرأ: "مَنْ يُهَيِّئُ لِلْغُرَابِ صَيْدَهُ، إِذْ تَنْعَبُ فِرَاخُهُ (تحرك رأسها صائحة، كالمرأة التى تولول) إِلَى اللهِ، وَتَتَرَدَّدُ (تهيم) لِعَدَمِ الْقُوتِ؟" (أى ٣٨: ٤١ & مز١٤٧: ٩).. أين تهيم؟.. فى العش العالى، حيث تتركها الأم، ولاتطعمها.. فتهيم الصغار، وتولول صارخة إلى خالقها.. فيرسل إليها بعض الحشرات الطائرة، كالبعوض أوخلافه.. يجتذبه سائل لزج على مناقير هذه الصغار، ناتج من إفراز الدموع أو اللعاب.

- على أن الرب عندما يقول بفمه الكريم: "أُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ" (مت٦: ٢٦)، لا يقصد وقتها فقط "إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا" (الشاهد السابق).. بل المعنى العام.. أى النظر إليها لا من حيث طعامها فقط.. بل من **جوانب أخرى**.. على سبيل المثال:
  - من حيث **سكنها**.. فنقرأ: " الْعُصْفُورُ أَيْضًا وَجَدَ بَيْتًا، وَالسُّنُونَةُ عُشًّا لِنَفْسِهَا حَيْثُ تَضَعُ أَفْرَاخَهَا " (مز٨٤: ٤).

  - من حيث **مواعيد هجرتها** العجيبة.. فنقرأ: "اللَّقْلَقُ (مع أنه طائر مكروه فى الشريعة (لا١١: ١٧)) فِي السَّمَاوَاتِ يَعْرِفُ مِيعَادَهُ، وَالْيَمَامَةُ وَالسُّنُونَةُ الْمُزَقْزِقَةُ حَفِظَتَا وَقْتَ مَجِيئِهِمَا" (إر٨: ٧).. أى وقت هجرتهما فى الشتاء، من أماكنهما البعيدة، إلى حيث كان يسكن النبى إرميا.

- من حيث **حدة البصر** للرصد الجوى من الأعالى، لاكتساب طعامه، زود الله النسر بعيون قوية، ترى الجثة وسط الثلوج، **من بعيد**.. فـ "النَّسْرُ يُعَلِّي وَكْرَهُ.... مِنْ هُنَاكَ يَتَحَسَّسُ قُوتَهُ. **تُبْصِرُهُ عَيْنَاهُ مِنْ بَعِيدٍ**" (أى٣٩:٢٧-٢٩).. فينقض عليها.. "لأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُثَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ" (مت٢٤:٢٨).
- وكثير وكثير فيما لا يعد ولا يحصى.. لكن الأكثر إدهاشاً هو ما تأمله الباحثون للفرخ الصغير (الكتكوت) فى البيضة، محبوساً وقد اكتمل نموه، ويريد كسر قشرة البيضة من الداخل لكى يخرج.. لكن منقاره الغض لا يزال لحمياً، لم يتكلَّس بعد، ولا يقدر على كسر القشرة.. وهو هنا مثل شخص محبوس داخل منزله وقد أضاع مفتاح الباب.. ماذا يفعل هذا الفرخ المسكين أمام هذه الورطة.. هل عليه أن يحلها ويبحث عن مفتاح؟.. أم يحلها له خالقه القدير؟.. إن الخالق الحكيم زوده بهذا المفتاح.. ألا وهو **زائدة عظمية** تكونت فوق منقاره.. يطرق بها القشرة من الداخل.. فتتكسر.. ويخرج مسبِّحاً بحمد خالقه العظيم.. ثم تضمحل هذه الزائدة مع مرور الوقت!!

- عن تهيئة الله مكانا **لسكن** حمار الوحش.. ومكانا **لطعامه**.. فعن السكن، نقرأ: "الَّذِي جَعَلْتُ الْبَرِّيَّةَ بَيْتَهُ وَالسِّبَاخَ (الأرض البور) مَسْكَنَهُ" (أى٣٩:٦).. وعن الطعام، نقرأ: "دَائِرَةُ الْجِبَالِ مَرْعَاهُ، وَعَلَى كُلِّ خُضْرَةٍ يُفَتِّشُ" (أى٣٩:٨).. أى خصص الله له حجرة للنوم، وأخرى للطعام!!.. مع أنه حمار، من النوع الأرعن الذى لا يسمع، ولا يرعوى (أى٣٨:٧).
- وعن الإعجاز فى السحاب، نقرأ: "أَتُدْرِكُ مُوَازَنَةَ (Balancing) السَّحَابِ، مُعْجِزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ؟" (أى ٣٧:١٦).. وهى موزانة ذات شقين **شق**

اســـتاتيكى؛ وشق جغرافى.. **فإستاتيكيا:** لابد من تساوى وزن السحاب المحمل بالمياه مع قوة الضغط الجوى أســفله، حتى يحدث الإتزان الاســـتاتيكى.. ويظل الـــســـحاب محمولاً بالـــــهواء، ومرتفعا.. فإن زاد وزن الميـــاه هطل المطر.. **وجغرافيا:** إن إزداد ثقل المياه، قاده الله ليتوجه بها إلى البيئة المهيأة لاستقبال هذا الـــمطر.. لملء الإنهار.. وإرواء البشر.. ورى المزروعات.. لذلك نقرأ: "مَنْ فَرَّعَ قَنَوَاتٍ لِلْهَطْلِ (المطر).... لِيُـرْوِيَ الْبَلْقَعَ (القفر) وَالْخَلاَءَ وَيُـــنْبِتَ مَخْرَجَ الـْـعُشْبِ؟" (أى٣٨: ٢٥،٢٧).. ليـــحدث الاتزان الجغرافى.. حقا إنها "مُعْجِزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ (مطلق الكمال)" (أى٣٧:١٤).

وما هذه إلا أمثلة يسيرة مما يصعب حصره أو تدوينه فى عجاله كهذه.

من أقوال الفلاسفة حول حتمية أن يكون الله واحداً لا شريك له

وفر علينا خادم الرب "عوض سـمعان"، مشقة البحث فى كثير من كتب الفلاسفة، حول هذا الموضوع.. وأنقل عنه بعض مانقله عن هؤلاء الفلاسفة.

- لا إله إلا إله واحد.

"أكسينوفان"

- للكون إله واحد.

"ابن سينا"

- الله واحد، وهو واجب الوجود.

"الفارابى"

- الله واحد لا شريك له.

"موسى بن سيمون، وفيلون"

- الله واحد لا شريك له، وإلا لحدَّ الشريك من سـلطته، التى لا يثبت له الكمال إلا إذا كانت لا حد لها.

"أفلاطون"

- لوكان هناك إلهان، لوجب أن يـتمايزا فيما بينهما، فيصدق على الواحد شئ، لا يصدق على الآخر، ولكان أحدهما بالتبعية عادماً كمالاً، فلا يكون إلهاً.

القديس **"توما الاكوينى"**

- إذا لـم يكن الله واحداً لم يكن هو الله، لأن الله لا يكون إلا فريداً فى العظمة، ولا يكون فريداً فى العظمة إلا من لا مساوى له، ومن لا مسـاوى له لا يكون إلا واحداً مفرداً.

"ترتليان"

من أقوال الكتاب المقدس حول حتمية أن يكون الله واحداً لا شريك له

- "الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (تث٦:٤)
- "لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ" (رو٣:٣٠)
- "وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ" (غل٣:٢٠)
- "اللهَ وَاحِدٌ" (يع٢:١٩)
- "يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ" (١تى٢:٥)
- "لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ" (رو١٠:١٢)
- "أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ" (نح٩:٦)
- "أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي" (إش٤٤:٦)
- "أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ وَلَيْسَ غَيْرِي" (يؤ٢:٢٧)
- "أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ" (إش٤٥:٢١)
- "أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي" (تث٣٢:٣٩)
- "الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ" (تث٤:٣٩)

ملاحـــق

ملحق١: لأن إمكانيات الإنسان محدودة، فرغماً عن وجود أشياء كثيرة فى الطبيعة، فهو لا يــقدر أن يــراها.. ولا أن يــدرك كنهها.. مثال ذلــك: التيــار الكهربائى.. والمجال المغناطيــســى.. وموجات الميكروويف.. والأشعة السينية.. وغير ذلك.

ملحق٢: راجع العدد ٢٥ من هذه السلسلة بعنوان "حتميات لاهوتية" ج ١.

ملحق٣: يبنى النحل أقراص العســل الشمعية بتصميم هندسى مدهش.. يعتمد على تقليل كمية الشمع المســتخدم لبناء جدران الخلية إلى أقل قدر ممكن، مع ضمان بنائه بأقصى قدر ممكن من المتانة، لتحمل ضغط ســائل العســل على جدران الخلية الشمعية الرقيقة (٠,١ من المليمتر).

وبــالغريزة التى وضعها الخالق فيه - لا بالعقل أو الابتكار - يبنى خلاياه بــقطاع سداسى الشكل .. ويَعْمَدُ إلى زيادة سُمك الأركان بما يُسمى فى هندسة الإنشاءات بالـ Hunch، أو الحَدَبَة، بزاوية محددة.. وذلك حتى يقلل مرة أخرى من سُمك الجدران مع أقصى قدر للتحمل.

وقد توافق هذا مع أحدث ما وصل إليــه المهندســون فى تصميم صوامع الغلال بأشكال سداسية المقطع، والمدعمة بالحدبات، بنفس تصميمها ونفس زواياها التى فى خلايا العسل!!

ملحق٤: وفى عدد قادم - بمشيـــئة الرب - ســنتناول حتمية أن تكون لله وســيلة (بكتاب أو غيره) يتواصل بها مع خلائقه العاقلة.

ملحق٥: راجع العدد ١٣ من هذه الســـلسلة، بعنوان "وأنت تبقى".. عن علاقة الله بالزمن.

ملحق٦: وهناك بالطبع أغراض أخرى من موت المسيح على الصليب.. نقرأ عنها فى العدد ٢٤ بعنوان "ســـر الله".. هذا غير الأنصبة من صليب المسيح، التى سنتناولها بنعمة الرب فى عدد قادم.

ملحق٧: لأن الزمن = المســافة مقسومة على السرعة.. ولما لم تكن هناك سرعات قبل خلق الضوء بســرعته.. لذلك لم يــكن هناك زمن يــقاس قبل خلق الضوء.. وإن كان فبأى شىء يقاس؟.. وإلى أى شىء ينسب؟

ملحق٨: راجع الاتزان البيئى فى العدد ٢٢ من هذه السلسلة بعنوان "حتى الموت".. وكيــف أن الــفرائس التى تفترســها الضوارى تفرز مادة الأندورفيــن الــمخدرة، فتنتشر فى أجســامها فلا تشعر بألم الافتراس.. وذلك لحكمة الخالق الرحيم، الذى وضع نظام هذا الاتزان البيئى.. حيث تعيش خلائق، على موت خلائق أخرى.. وعن هذه الملحمة الطبيــعيـــة العجيبة يكتب الشاعر "صلاح جاهين":

أنا كنت شـــىء وصبــحت شــئ ثم شــئ
شـــوف ربـــنا قادر علـــى كل شــئ
هز الــشــجر شــواســيــه ووشوشنى قال
لابــد مايــموت شــئ عشان يــحيــى شئ

عجبى

فقد كان الـــشاعر - شيــئاً - فى الماضى، ثم أصبح شيــئاً آخر - فى الحاضر- وســيكون - فى المستقبل - شيئاً ثالثاً مختلفاً، بعد تحلل جسده فى التراب.. ليحيا على رفاته شئ آخر.. شأن كل شئ فى الطبيعة لأنه:

إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ
فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا
وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ
(يو ١٢: ٢٤)

****

وفى أعداد قادمة - بمشيئة الرب - سنتناول باقى الحتميات

فى هذا العدد

- وجود هذا الكون، هل كان بالخلق من غير الموجود، أم نتيجة تطور طبيعى؟
- إن كان بالخلق، فهل كان الخلق صفة من صفات الخالق؟
- إن كان الخلق صفة له، فهل كانت أزلية.. أم مستحدثة؟
- إن كانت أزلية، فهل مارسها الله فى الأزل.. أم كانت عاطلة إلى أن قام بعملية الخلق؟
- إن كانت مستحدثة، فهل إضافتها إلى صفات الله الأزلية، قد أحدثت تغييراً فى الله؟
- لأى سبب خلق الله هذا الكون، هل كانت هناك ضرورة لديه للقيام بعملية الخلق؟
- لماذا بالتحديد خلقت الخليقة وقت أن خلقت.. لا قبل ذلك ولا بعده؟
- هل هناك شريك لله فى الوجود؟
- هل هناك شريك لله فى الخلق؟
- هل هناك شريك لله فى الربوبية؟
- هل هناك شريك لله فى وضع ناموس للبشر؟
- هل هناك شريك لله فى الدينونة؟

وغير ذلك

العدد القادم بمشيئة الرب

الست عواطف